الافتتاحيّة

المدير العام
اللواء عباس ابراهيم

ليكن الحوار بديلاً من الحروب

لم تنجُ منطقة في العالم من الاصابة بعدوى الصراعات والنزاعات على انواعها، سياسية واقتصادية وعسكرية وحدودية ونووية وقومية وعرقية ودينية... واضحت هذه الصراعات السمة الاساسية للكثير من الدول منذ بدايات القرن الماضي ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، من دون ان ننسى النزاعات داخل كل دولة وانعكاساتها على حياة الانسان وديمومته، بالرغم من المحاولات التي تقوم بها مراكز القرار لتجنيب المجتمعات البشرية نتائج هذه الحروب ودمارها.
تشير كل المعطيات المحيطة بالتطورات الدولية، الى ان مخاطر تضاعف النزاعات في العالم قابلة للازدياد في المستقبل، وقد تصل الى مستويات لم يسبق لها مثيل في التاريخ، لاسباب نذكر منها على سبيل المثال:

- وضع خطط لانظمة سياسية جديدة في العالم على حساب تآكل النظام العالمي المعمول به منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية.
- بروز دول تتمتع بقدرات عسكرية واقتصادية ومالية ضخمة، تحاول ان يكون لها دور مؤثر وفاعل في محيطها والعالم.
- استمرار الكيان الاسرائيلي في رفضه اعادة الحقوق والارض الى اصحابها.
- الارهاب الدولي العابر للحدود الناتج من التطرّف الديني، عدا انهيار القيم في بعض المجتمعات، وتزايد حالات الفقر والمرض.
- التغيّر المناخي.
- تضاؤل النمو الاقتصادي.
- العولمة والتقدم التكنولوجي وتأثيرهما على دول العالم الثالث.

كل هذه التحديات تواجه العالم بأسره، وتؤسّس لمستقبل قاتم وصعب اذا لم يتم تداركها من اصحاب القرار، قادة الدول العظمى، ودعوتهم الى وقف الصراعات والحروب بدلا من الانخراط فيها بحيث يدفع نتيجتها الانسان الثمن الغالي قتلا وتهجيرا ومجاعة، والمشاركة في بناء نظام عالمي تحكمه القوانين الدولية، يرعى السلام العادل بين الدول وشعوبها ليعيشوا في عالم اكثر املا وامانا.

العبارة الاكثر الهاما في مواثيق الامم المتحدة التي وردت في ديباجة الميثاق التأسيسي لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، تنص على انه "لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب ان تبنى حصون السلام". عليه، الحوار يجب ان يسبق النزاع، عكس ذلك نكون امام مفاوضات بين منتصر ومهزوم وبين قوي وضعيف. في هذه الاحوال نكون امام سلام غير عادل، سلام مؤجل فرضته موازين القوى هي نفسها ستفجره متى اختلت.

الحوار ضمان للسلم ومانع للحرب. وحده يفعّل العلاقات البشرية والسياسية وفقا للقواعد الحقوقية بين البشر في العيش بسلام، بعيدا من الكراهية التي تستسقي الدم والعنف والتخلف. الحوار ايضا وحده يكبح جماح العقول التي لا ترى حلولا للمشاكل الجيو-بوليتيكية الا عبر الجيوش والاسلحة النوعية والعنف. العلاقة بين النزاعات والحوار تقوم على معادلات رياضية بالمعنى العلمي الدقيق. فالتسوية هي الموازي الحقيقي لصراع القوى والاحجام والاوزان على الرقعة الجغرافية الاضعف، او على الرقعة

الخصبة بالتصدعات ويقفز القائمون عليها فوق وجوب المبادرة الى الحوار قبل الانفجار.

علّمنا التاريخ بشقيه القديم والحديث صواب الحوار قبل النزاع، ليكون الاستقرار بديلا من الحروب والصراعات على انواعها واستنباط بؤر التوتر. حتى ان تعريف "بؤر التوتر" نمت في بيئة خصبة مؤهلة لهذا الوضع لانها عجزت عن ان تؤسس دولة بمقاييس الدول الحديثة، و"بؤر توتر" تم افتعالها لتكون بديلا من صراع امم ودول. خبِر العالم هذا النوع من الحروب ولبنان خير مثال، من دون ان ننسى ما يجري في بعض دول المنطقة والعالم، وكُلها تقريبا تدخل في صلب نزاعات متداخلة، ولم يصدف ان كان هناك نزاع داخلي بحت ومستقل عن سياقات اقليمية ودولية خارجية. ذلك ان الصراع هو عبارة عن ظاهرة تنافس بين دولتين او اكثر بحيث يريد كل طرف ان يسيطر على ما يريد الحصول عليه الطرف الاخر، او تعارض في الاهداف والمصالح، او خطط توسعية بهدف السيطرة على الارض والثروات الطبيعية. فتتطور الامور سلبا من مرحلة التوتر الى حالة التأزم. هنا تنشأ النزاعات التي تنتج منها الحروب.

في هذا الشرق الذي صار اسمه مقرونا بالحروب والتسويات السياسية الهشة، حيث تنزف المنطقة منذ عقود جراء صراعات دولية وموجات نازحين ومشردين، حلّت على ارض بلدانها، تفوق مقدرات اي منها، يستحيل ان تكون مصادفة ترك المنطقة منذ اربعينات القرن الماضي ساحة متقدمة للصراع العربي ـ الاسرائيلي، ومن ثم العربي ـ العربي، ليعود العالم ومن خلاله بعد عقدين ونصف عقد من الزمن ليطرق بعضا من باب مؤتمر مدريد للسلام. ليس مصادفة ابدا ان تحتدم النزاعات المذهبية على ايقاع صدامات دامية نتيجة حروب مباشرة او بواسطة الارهاب المتنقل والمبرمج. وليس معزولا فشل الحوار اليمني والازمة السعودية ـ الايرانية عن الانتكاسات المتتالية في ترتيب البيت العراقي، ولا عن ارتفاع اللهيب في سوريا والقلق الذي يلف المؤتمرات المتعددة العنوان التي تعقد بغرض انجاز تسوية سياسية لها او عليها.

لقد اثبتت الوقائع في العالم مقولة الفيلسوف الالماني كارل فون كلاوزفيتز "ان الحرب استمرار للسياسة بوسائل اخرى". وهذا ما يجب ان يُعمل على تعديله فتكون السياسة ضمانا للسلم والاستقرار. ولكي لا يُهمل ما يتعلق بالانعكاسات المباشرة لبؤر التوتر على بعضها البعض، واثر ذلك على مسار اي مشروع تسووي.

ان النزاعات والصراعات الاقليمية والدولية تستعر بوتيرة مطّردة، ويشكل تصاعدها والسكوت عنها عاملين مساعدين في اجهاض الاستقرار العالمي والسلام بين الدول. الحل يرتكز على تدخل قادة العالم انفسهم في ادارة الصراع الدولي وارساء الوسائل الديبلوماسية لتأمين التواصل بين الاطراف المتنازعين، وايجاد المساحة المشتركة لتنظيم عمليات الحوار، لا الانخراط في الحروب وتأليب الدول بعضها على بعض، لأن مسارات الحوارات هي السبيل الوحيد لمنع النزاعات والحيلولة دون وجود بؤر توتر وصراعات.
السياسة والحوار وُجدا لسلم البشرية وليس لتدميرها.